كيف ننتفع بالقرآن؟

جميع الحقوق محفوظة

طبعة مزيدة ومنقحة

الطبعة الثالثة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

رقم الإيداع

١٦٥٤٦/ ٢٠٠٣م

كيف ننتفع بالقرآن؟

مجدي الهلالي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كيف ننتفع بالقرآن؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد اعتاد الكثيرُ منا بعد دخوله المسجد وجلوسه فيه انتظارًا للصلاة أن يتناول مصحفًا من المصاحف؛ ليقرأ فيه حتى يحين وقت إقامة الصلاة، فإن سألتَه عما استفاده من تلك القراءة والجديد الذي خرج به ففي الغالب لن تجد منه جوابًا، فهو يقرأ القرآن وعينه على الثواب المترتب على تلاوته بغض النظر عن أي شيء آخر، ويزداد الأمر وضوحًا في شهر رمضان، فما إن يدخل هذا الشهر المبارك على المسلمين إلا وتزدحم المساجد بالمصلِّين، وينكبُّ الواحد منا على المصحف، ويجتهد في قراءة القرآن وختمه عدة مرات، بل ويتبارَى في ذلك الأقران، ومما لا شك فيه أن هذه الظاهرة تحمل في طياتها بعض الجوانب الإيجابية، مثل: اهتمام المسلمين بكتابهم، وحبّهم له، وتعلُّقهم به.

ولكن ومما يدعو للأسف أن محور الاهتمام غالبًا ما يدور حول حروف القرآن وألفاظه، دون أن يصاحب ذلك اهتمامٌ مماثلٌ بما تحمله هذه الألفاظ من معانٍ هادية، تدفع مَن يعيش في أجوائها إلى

الاستقامة على أمر الله وعلى صراطه المستقيم كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وخير دليل على أن ما نفعله مع القرآن ينقصه الكثير والكثير هو واقعنا الذي نحياه، فالواحد منا يقرأ الآيات والسور، وينتهي من الختمة تلو الختمة، دون أن تجد أثرًا لهذه القراءة في أفعاله وسلوكه، بل إنك إن سألته عما استوقفه من آيات لم تجد منه جوابًا، فالهمُّ منصرفٌ لتحصيل أكبر قدر من القراءة؛ طمعًا في الأجر والثواب الذي أخبر به النبي ﷺ بقوله: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْمَ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١).

المعنى هو المقصود

إن معظمنا يردد هذا الحديث ونحفظه ولكن هل هذا فقط ما أراده رسول الله ﷺ؟ فلو كان أمر القرآن يتعلق بالثواب المترتب على قراءته فقط لكانت هناك أعمالٌ أخرى تعود علينا بثواب أكبر، مثل ما أخبرنا به رسول الله ﷺ: « **مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ**

(١) رواه الترمذي (٥/ ١٧٥ برقم: ٢٩١٠).

حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»[1].

ولسنا نعني بذلك التقليل من شأن الثواب المترتب على قراءة القرآن، بل نعني إعادة النظر في طريقة تعاملنا معه، فقيمة القرآن وبركته الحقيقية تكمن في معانيه؛ ولأن اللفظ وسيلة لإدراك المعنى كان التوجيه النبوي بالإكثار من تلاوته، وتحفيز الناس على ذلك من خلال الثواب الكبير المترتب على قراءته، ومثال ذلك: الأب الذي يرصد مكافأةً لابنه إن استمر في المذاكرة عدة ساعات، هو بالتأكيد لا يقصد من وراء ذلك مجرد جلوسه على المكتب والنظر في الكتب دون فهم ما تحتويه، بل هدفه تشجيع ابنه على المذاكرة بذهن حاضر ليتحقق له النجاح.

فإذا ما نظرنا إلى الهدف الأسمى من نزول القرآن، وربطنا بينه وبين ما رتب الشارع الحكيم على قراءته من ثواب عظيم، لوجدنا أن من أهداف هذا الثواب تشجيع المسلمين على دوام الاقتراب منه حتى يهتدوا بهداه، ويستشفوا بشفائه، أمَّا أن نقترب منه وليس لنا هدفٌ إلا ثواب القراءة فقط دون الالتفات إلى المعنى المقصود من الخطاب، فإننا -لا شك- سنخسر كثيرًا بالاقتصار على ذلك التعامل الشكلي، ولن يحقق فينا القرآن -حينئذ- مقصوده.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤١٠ برقم: ٣٢٧)، وابن ماجه (٣/ ٣٤٤ برقم: ٢٢٣٥)، والترمذي (٥/ ٤٩١ برقم: ٣٤٢٨)، واللفظ له، والحاكم (١/ ٧٢١ برقم: ١٩٧٥)، والبغوي (١/ ٣٣٠).

لا بديل عن التفكر المثمر

إن نصوص القرآن واضحةٌ في أهمية تدبره عند قراءته أو الاستماع إليه، والتدبر بمعناه الصحيح هو التفكر العقلي في الآيات والعمل على تجاوب المشاعر معها، ورسوخ مدلول ذلك التجاوب في القلب مما قد يثمر عملًا بالجوارح يقول تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤].

وغني عن البيان أن بوابة التدبر هو التفكر والفهم لمدلول الخطاب القرآني، فمن هنا كان فهم معنى الآيات -ولو بإجمال- لا بد أن يلازم قراءة القرآن، ولذلك كان توجيه الرسول ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ بألا يختم القرآن في أقل من ثلاث؛ معللًا ذلك بقوله ﷺ: «**لَا يَفْقَهُ مَنْ يَقْرَؤُهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**»(١).

أخي: إننا نعمل جاهدين على فهم المقصود من أي كلام نقرؤه أو نسمعه، فلماذا لا نطبق هذه القاعدة على القرآن؟... لماذا نتعامل مع القرآن على أنه كلام يصعب فهمه مع أن أغلب آياته واضحة المعنى؟!

---

(١) الحديث في سنن أبي داود كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن (برقم: ١٣٤٩) بلفظ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»، الترمذي في كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن (برقم: ٢٩٥٠)، ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب في كم يستحب ختم القرآن؟ (برقم: ١٣٤٧) بلفظ: «**لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن المعلوم أن كل كلام يكون المقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك[١].

«فليست العبرة في التلاوة بمقدار ما يقرأ المرء، وإنما العبرة بمقدار ما يستفيد، فالقرآن لم ينزل بركةً على النبي ﷺ بألفاظه مجردة عن المعاني، بل إن بركة القرآن في العمل به، واتخاذه منهجًا في الحياة يضيء سبيل السالكين، فيجب علينا حين نقرأ القرآن أن يكون قصدنا من التلاوة أن نحقق المعنى المراد منها، وذلك بتدبر آياته وفهمها والعمل بها»[٢].

التفكر وسيلة وليس غاية

.. نعم، لا بد أن يصاحب قراءة القرآن الفهم والتفكر.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

ومع ذلك فالتفكر في القرآن وإن كان واجبًا على قارئه أو مستمعه إلا أنه ليس غايةً في حد ذاته، بل هو وسيلةٌ لتفعيل معجزته الكبرى وتحقيقها في نفس متلقيه.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٧٥).

(٢) مقالات الإسلاميين في رمضان لمحمد موسى الشريف (ص: ٤٢٦).

المعجزة الكبرى

نعلم جميعًا أن القرآن الذي بين أيدينا هو أكبر وأعظم معجزة جاءت من عند الله عز وجل للبشر، أكبر من معجزة عيسى عليه السلام في إحيائه للموتى بإذن الله، ومن عصا موسى وناقة صالح عليهما السلام، وغيرهما من المعجزات، فما هو سرّ هذه المعجزة والذي جعلها تتفوَّق على كل ما سبقها من معجزات؟!

قد يجيب البعض بأن معجزة القرآن تكمن في أسلوبه، وبلاغته، وتحدِّي البشر به، وأنه صالح لكل زمان ومكان.. إلخ.

نعم.. هذا كله من أوجه إعجاز القرآن، ولكن يبقَى سرّ إعجازه الأعظم في قدرته على التغيير، تغيير أي إنسان، ومن أي حال يكون فيه ليتحوَّل من خلاله إلى إنسان آخر، فيصير عالمًا بالله عابدًا له في كل أموره وأحواله، حتى يتمثَّل فيه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

كيفية التغيير

والتغيير الذي يُحدثه القرآن يبدأ بدخول نوره إلى القلب، فكلما دخل النور إلى جزء من أجزائه بدَّد ما يقابله من ظلمة أحدثتها المعاصي والغفلات واتباع الهوى، وشيئًا فشيئًا يزداد النور في القلب، وتدبّ الحياة في جنباته، ليبدأ صاحبه حياةً جديدةً لم يعهدها من قبل.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالقرآن إذن هو الروح التي تُبَثُّ في القلب فتحييه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وعندما تبث الروح في القلب، وتمتلئ جنباته بنور الإيمان، فإن هذا من شأنه أن يطرد الهوى وحب الدنيا من القلب؛ مما يكون له أبلغ الأثر على سلوك العبد واهتماماته، وهذا ما أوضحه رسول الله ﷺ للصحابة عندما سألوه عن معنى انشراح الصدر الذي جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

عن ابن مسعود ﷺ قال: تلا نبي الله ﷺ هذه الآية: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٢] فقلنا: يا رسول الله، كيف انشراح صدره؟ قال: «إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ»، فقلنا: فما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال: «الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ»[1].

(١) الحديث رواه البيهقي في القضاء والقدر (برقم:٣٨٩) والزهد (برقم:٩٧٤). وله رواية عند ابن أبي شيبة والحاكم بلفظ قريب لكنه تلا: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾.

من آثار المعجزة

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١].

إن للقرآن تأثيرًا قويًّا يفوق ما يمكن تخيله، ولقد ضرب لنا سبحانه وتعالى مثلاً لذلك فقال عز من قائل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

فالجبال كما يقول القرطبي إذا ما خوطبت بهذا القرآن مع تركيب العقل لها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها- على صلابتها ورزانتها- خاشعةً متصدعةً، أي متشققةً من خشية الله[1]. وفي هذا المثل دعوة للتفكير في قوة تأثير القرآن؛ ليكون حجةً على الجميع، ويبطل دعوى من ادَّعى بأنه ليس أهلًا للتفكر في القرآن.

القرآن والجن

ومن آثار المعجزة القرآنية وقوة تأثيرها ما حدث لنفر من الجن حين استمعوا للقرآن..

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ

(١) الجامع لاحكام القرآن (١٨ / ٣٠).

طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

نموذج للتغيير القرآني

للقرآن تأثيرٌ عجيبٌ في نفس من يحسن استقباله والتعامل معه على حقيقته ككتاب هداية وشفاء، فمن شأنه أن يُحدث انقلابًا جذريًّا شاملًا في شخصيته، فيُعيد صياغتها وتشكيلها من جديد على النحو الذي يحبه الله ويرضاه، فإن كنت في شكٍّ من هذا فتأمل معي ما حدث للصحابة -رضوان الله عليهم- والذين كانوا قبل إسلامهم غايةً في الغرابة والجاهلية، ليتعرضوا بهذه الحالة إلى «معجزة القرآن»، ليكونوا من بعدها أناسًا آخرين تفخر بهم البشرية حتى الآن.

إنه لأمرٌ عجيبٌ يشهد بقدرات هذا الكتاب على إحداث التغيير الجذري في النفوس -أي نفوس- وإلا فمن يصدق أن أمةً تعيش في الصحراء حفاةً عراةً فقراء، بلا مقوماتٍ تُذكر، لا توضع في حسابات القوى الكبرى آنذاك، فيأتي القرآن ليغيِّرها ويُعيد صياغة شخصيتها وكيانها من جديد، ويرفع هامات أبنائها إلى السماء، ويربط قلوبَهم بالله ليكون وحده هو الغاية والمقصد، ولقد حدث كل هذا في وقت قصير، سنوات معدودات، كانت كفيلة بإحداث هذا التغيير الجذري.

فماذا كانت النتيجة؟!

تحقق الوعد الذي وعد الله به عباده إذ قاموا بتغيير ما بأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ففي سنوات معدودة خرجت القوة الجديدة من قلب نفس الصحراء لتحطّم الإمبراطوريات، وتقلب الموازين، وتؤول لها القيادة والريادة: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

لماذا غيرَّ القرآن الصحابة؟

الذي مكَّن القرآن على إحداث هذا التغيير الجذري في جيل الصحابة هو حسن تعاملهم معه، بعد أن أدركوا قيمته وفهموا المقصد من نزوله، ولقد كان أستاذهم رسول الله ﷺ قدوتهم في ذلك، فلقد عايش ﷺ القرآن بكيانه كله وانصبغت حياتُه به، حتى صار وكأنه قرآن يمشي على الأرض، يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه.

كان ﷺ يقرأ القرآن قراءةً متأنيةً مترسلة، فيرتِّل السورة حتى تصبح أطول من أطول منها، ولقد ظل ليلةً كاملةً يردد في صلاته آيةً واحدةً، وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨].

بل إنك لتعجب من قوة تأثير القرآن على رسول الله ﷺ عندما يخبرنا بقوله: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا قَبل المَشيبِ»[1].

(١) الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٨٧ برقم: ٧٩٠) صحيح الجامع (برقم: ٣٧٢١).

أما تأثير القرآن على الصحابة فخيرُ دليل عليه هو واقعهم الذي تبدَّل، واهتماماتهم التي تغيَّرت، فإن أردت مثالًا لكيفية معايشة الصحابة للقرآن وقوة تأثيره عليهم، فانظر أمر عبَّاد بن بشر ﷺ الذي كان يتبادل حراسة المسلمين مع عمَّار بن ياسر ﷺ في غزوة ذات الرقاع، فطلب من عمار -وقد كان مجهدًا- أن ينام أول الليل ويقف هو، فلما رأى أن المكان آمنٌ صلى، فجاء أحد المشركين فرماه بسهم فنزعه وأكمل صلاته، ثم رماه بسهم ثانٍ فنزعه وأكمل صلاته، ثم رماه بثالث فنزعه وأنهى التلاوة، وأيقظ عمارًا وهو ساجدٌ، فلما سأله عمار: لِمَ لَمْ يوقظه أول ما رُمي؟! فأجاب: «كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فآذنتك، وايم الله لولا أن أضيِّع ثغرًا أمرني به رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها»[1].

بركة القرآن

إذن فقيمة القرآن الحقيقية تكمن في معانيه، وقدرته على إحداث التغيير الجذري لقارئه، وإعادة صياغة عقله، وبث الروح في قلبه، وترويض نفسه ليخرج منه عالمًا بالله عز وجل عابدًا له بإخلاص

(١) رواه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٠٩)، واللفظ له، والإمام أحمد في المسند (٢٣/ ٥١ برقم: ١٤٧٠٤)، وأبو داود (١/ ١٤٢ برقم: ١٩٨).

وعلى بصيرة، وهذا لن يتحقق بمجرد القراءة العابرة باللسان فقط، ولو تم ختمه بهذه الطريقة آلاف المرات.

وهذا ما كان يؤكد عليه الصحابة ﷺ فقد قيل للسيدة عائشة ﷺ: إن أناسًا يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثًا، فقالت: قرأوا ولم يقرؤوا «كان رسول الله ﷺ يقوم ليلة التمام فيقرأ سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء لا يمر بآية فيها استبشارٌ إلا دعا الله تعالى ورغب، ولا يمربآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ»[١].

وعن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس ﷺ: إني سريع القيام وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول[٢].

ومن وصايا ابن مسعود ﷺ: « لا تَهُذُّوا القرآن هَذَّ الشِّعْر، ولا تَنْثُرُوه نَثْر الدَّقل، قِفُوا عند عجائبه، وحَرِّكُوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدِكم آخر السورة»[٣].

ويؤكد على هذا المعنى الآجري في كتابه (أخلاق حملة القرآن) فيقول: والقليل من الدرس للقرآن مع التفكر فيه وتدبره أحبُّ إليَّ من

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٤٢١: برقم: ١١٩٦).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ١٥٧).

(٣) أخلاق أهل القرآن للآجري (برقم: ١).

قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكُّر فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك، والسنة وأقوال أئمة المسلمين. سُئل مجاهد عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة قراءتها واحدة، وركوعهما وسجودهما، وجلوسهما، أيهما أفضل؟! قال: الذي قرأ البقرة، ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦][1].

حالنا مع القرآن

أتعلم -يا أخي- أن القرآن الذي بين أيدينا هو القرآن الذي كان مع الصحابة، وهو الذي صنع منهم هذا الجيل الفريد؟!

فما الذي تغير؟!

لماذا لم يعُد القرآن ينتج مثل هذه النماذج؟!

هل فقد مفعوله؟!

حاشاه أن يكون كذلك، وهو المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة.

إذن فالخلل فينا نحن، فمع وجود المصاحف في كل بيت، وما تبثه الإذاعات ليل نهار من آيات القرآن، ومع وجود عشرات بل مئات الآلاف من الحفَّاظ على مستوى الأمة وبصورة لم تكن موجودةً في العصر الأول، إلا أن الأمة لم تجنِ ثمارًا حقيقيةً لهذا الاهتمام بالقرآن لماذا؟!

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ١٥٨).

لأننا لا نوفر للقرآن الشروط التي يحتاجها لتظهرَ آثارُ معجزته ويقوم بمهمة التغيير، فلقد اقتصر اهتمامُنا بالقرآن على لفظه، واختُزل مفهوم تعلّم القرآن على تعلّم حروفه وكيفية النطق بها دون أن يصحب ذلك تعلّم معانيه، وأصبح الدافع الرئيس لتلاوته هو نيل الثواب والأجر دون النظر إلى ما تحمله آياته من معانٍ هادية وشافية؛ مما جعل الواحد منا يسرح في أودية الدنيا وهو يقرأ القرآن، ويفاجأ بانتهاء السورة ليبدأ في غيرها، ويبدأ في السرحان مرةً أخرى دون أن يجد حرجًا في ذلك، بل إنه في الغالب ما يكون سعيدًا، وفرحًا بما أنجزه من قراءته كمًّا لا كيفًا !!

نُدير مؤشر المذياع على صوت قارئ القرآن، ثم نتركه يرتل الآيات، ويخاطب بها الجدران ثم ينصرف كل منا إلى ما يشغله!!

من آثار هجر القرآن

هذا التعامل الشكلي مع القرآن أدى إلى عدم الانتفاع الحقيقي به.

فماذا كانت النتيجة؟!

حُجبت المعجزة القرآنية عن قلوبنا، ولم تعد تخرج نماذج قرآنية كما حدث مع الصحابة، اللهم أفرادًا هنا وهناك، وقد أدى حرماننا من المعجزة القرآنية إلى عدم انتفاعنا به انتفاعًا حقيقيًّا كاملًا؛ لتزداد الفجوة بين الواجب والواقع، والقول والفعل، تغيرت اهتماماتنا،

وازداد حبُّنا للدنيا وتعلُّقنا بها، فجرَت علينا سنةُ الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وانطبق حالنا مع ما أخبر به رسول الله ﷺ عندما قال: «**يوشِكُ الأُممُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها**» فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهْنَ**» فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال «**حبُّ الدُنيا وكراهيةُ الموتِ**»(١).

ضرورة العودة إلى القرآن

من هنا يتضح لنا أنه قد آن أوان العودة الحقيقية إلى القرآن، فنقبل على مأدبته، ونعطي له عقولنا وقلوبنا، ونترك له أنفسنا.

آن الأوان لكي نبدأ عملية التغيير الحقيقية في ذواتنا حتى يتحقَّق موعود الله لنا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ولنعلم جميعًا أن أيَّ بداية أخرى تتجاوز القرآن لن تأتي بالثمار المطلوبة، ولم لا والقرآن هو الدواءُ الربانيُّ الذي أنزله الله -عز وجل- ليشفي به الإنسان من أمراضه، ويعيد به العافية إلى قلبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣٧/ ٨٢ برقم: ٢٢٣٩٧)، وأبو داود (٤/ ١١١ برقم: ٤٢٩٧) واللفظ له.

كيف ننتفع بالقرآن؟!

مما لا شك فيه أن مَن يُقبل على القرآن مستشعرًا أنه خطابٌ من الله عز وجل موجَّهٌ إليه، يحمل في طياته مفاتيح سعادته في الدنيا والآخرة، وأنه القادر -بإذن الله- على تغييره مهما كان حاله، لا شك أن هذا الشخص لا يحتاج إلى من يدله على وسائل تعينه على الانتفاع بالقرآن؛ لأنه بهذا الشعور قد أصبح مهيَّأً للتغيير الذي يقوم به القرآن.

أما وإنه من الصعب علينا في البداية أن نكون كذلك بسبب ما ورثناه من أشكال التعامل الخاطئ مع القرآن؛ مما جعل هناك حاجزًا نفسيًّا بيننا وبينه يمنعنا من الانتفاع الحقيقي به.

أما والأمر كذلك فإن عودتنا إلى القرآن تحتاج إلى وسائل سهلة وعملية ومحددة، تُعين صاحبها على إدارة وجهه للقرآن، والإقبال على مأدبته، والدخول إلى دائرة تأثير معجزته بصورة متدرِّجة.

ومن أهم الوسائل التي تحقق هذا الغرض -بإذن الله- هي:

١- الدخول إلى القرآن من بابه الصحيح.

٢- الانشغال بالقرآن.

٣- التهيئة الذهنية والقلبية.

٤- القراءة المتأنية.

٥- التركيز أثناء القراءة والاجتهاد في الإنصات.

٦- التجاوب مع الآيات.

٧- أن نجعل المعنى هو المقصود.

٨- ترديد الآية التي تؤثر في القلب.

أولًا: الدخول إلى القرآن من بابه الصحيح

لكي تتم لنا الاستفادة الحقيقية من القرآن، ويكون دليلًا يهدينا إلى الله عز وجل، وسببًا يقربنا إليه ويصلنا به، ودواءً نستشفي به من أمراضنا، ومصدرًا متفردًا لزيادة الإيمان في قلوبنا، وجلاءً للهموم والغموم والأحزان ومنبعًا صافيًا لتحصيل العلم النافع.. لكي يتم لنا كل هذا وغيره.. لا بد من الدخول إليه من بابه الصحيح..

إن الباب الصحيح -الذي لا باب غيره- للانتفاع بالقرآن وتحقيق مراد الله بنزوله يستلزم الاعتقاد الجازم أنه المصدر المتفرد الذي لا مثيل له لتحصيل الهداية الشاملة الكاملة، والشفاء التام، والعلم النافع، والتغيير الجذري، وأن يتم التعامل معه بناء على هذا الاعتقاد، وهو ما تعبر عنه عبارة «الإيمان قبل القرآن».. أي: الإيمان بأن القرآن هو المصدر الوحيد للهداية الشاملة التامة وأنه لا يمكن تحصيلها بدونه..

.. والإيمان بأن القرآن هو الدواء الناجع المتفرد لشفاء القلب وعودته إلى صحته وفطرته..

.. والإيمان بأن القرآن هو المصدر الأسمى للعلم النافع المقرب إلى الله، والمورث لخشيته، وأنه لا يوجد مصدر آخر يضاهيه أو يقترب منه..

.. والإيمان بأن القرآن هو القادر -بإذن الله- على تغيير أي إنسان، ومن أي وضع سلبي هو فيه إلى الحال الذي يرضي الله عز وجل، فيلحقه بصفوف عباد الله الصالحين المصلحين..

.. علينا أن نستحضر هذا المعنى حين ندخل إلى القرآن.. فالغاية من نزول القرآن هي: تحصيل الهداية التامة والشفاء الكامل والتغيير الجذري.. فينبغي أن يكون منطلق علاقتنا بالقرآن مرتبطًا بهذه الغاية.. ويكون الهدف الأول من اللقاء معه تحصيل هدايته وشفائه وتقويمه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. والدليل العملي على صحة هذا الإيمان وتلبسنا به هو مراقبة حالة الترقب واللهفة لتلاوة القرآن، والتعامل معه بنفسية الأمي الشغوف المستعد للتنازل عن تصوراته ومفاهيمه وما فيها من خطأ أو خلط، واستسلامه لتصورات ومفاهيم القرآن، وكذلك مراقبة مدى استعداده للعمل بما علم من القرآن.

ثانيًا: الانشغال بالقرآن

بمعنى أن يصبح القرآن هو شغلنا الشاغل، ومحور اهتمامنا، وأولى أولوياتنا، ولكي يكون القرآن كذلك لا بد من المداومة اليومية على تلاوته مهما تكن الظروف، وأن نعمل على تفريغ أكبر وقت له، فالتغيير القرآني تغيير بطيء، هادئ، متدرِّج، ولكي يؤتي ثماره لا بد من استمرارية التعامل معه، وألا نسمح بمرور يوم دون أن يكون هناك لقاءٌ به.

ولنعلم جميعًا أنه على قدر ما سنعطي القرآن سيعطينا، فمن استطاع أن يجعل له في يومه لقاءاتٍ معه فقد حاز قصب السبق.

ثالثًا: التهيئة الذهنية والقلبية

لكي يقوم القرآن بعمله في التغيير لا بد من تهيئة الظروف المناسبة لاستقباله، ومن ذلك وجود مكان هادئ، يبعد عن الضوضاء، يتم فيه لقاؤنا به، فالمكان الهادئ يعين على التركيز وحسن الفهم وسرعة التجاوب مع القراءة، ويسمح لنا كذلك بالتعبير عن مشاعرنا إذا ما استُثيرت بالبكاء والدعاء.

ومع وجود المكان الهادئ علينا أن يكون لقاؤنا بالقرآن في وقت النشاط والتركيز لا في وقت التعب والرغبة في النوم، ولا ننس الوضوء والسواك.

هذا بالنسبة للتهيئة الذهنية، أما التهيئة القلبية فالمقصود منها تهيئة المشاعر لاستقبال القرآن؛ ومن ثم سرعة التأثر به، وهذا يستدعي منا أن نعمل على استجماع مشاعرنا قبل القراءة، ووسائل ذلك كثيرة: منها الدعاء وتذكر الموت، والاستماع إلى المواعظ، فإن لم نقدر على ذلك، فليكن التباكي عند القراءة وسيلتنا الميسرة لتلك التهيئة.

رابعًا: القراءة المتأنية

علينا ونحن نقرأ أن تكون قراءتنا متأنية، هادئة، مترسلة، وهذا يستدعي منا سلامة النطق وحسن الترتيل، كما قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

والجدير بالذكر أن سلامة النطق يستدعي منا تعلم أحكام التلاوة وتصحيحها بدون إفراط أو تفريط.

وعلى الواحد منا ألا يكون همه عند القراءة نهاية السورة، ولا ينبغي أن تدفعنا الرغبة في ختم القرآن إلى سرعة القراءة. قال علي ﷺ: لا خير في قراءة ليس فيها تدبر[1].

وقال الحسن: يا ابن آدم كيف يرق قلبك؟ وإنما همتك في آخر سورتك[2].

---

(١) مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر (ص: ١٤٨).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٤٨).

خامسًا: التركيز أثناء القراءة والاجتهاد في الإنصات

علينا أن نجتهد حين نلتقي بالقرآن بحضور الذهن مع آياته، والإنصات التام -قدر المستطاع- لما نقرأ أو نسمع من الآيات، فإذا حدث شرود في وقت من الأوقات علينا أن نعيد الآيات التي شرد فيها ذهننا.

.. نعم في البداية سنجد صعوبة في تطبيق هذه الوسيلة بسبب تعودنا على التعامل مع القرآن كألفاظ مجردة من معانيها، ولكن بالمداومة والمثابرة سنعتاد بمشيئة الله القراءة بتركيز وبدون سرحان.

ولنتذكر دائمًا قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

إن الإنصات هو أعلى درجات تركيز المرء مع الصوت، سواء أكان هذا الصوت يأتيه من مصدر خارجي، أم كان يردده بلسانه، أم يقرؤه بعينه. فقد يحدث أن يسمع الشخص كلامًا وهو شارد الذهن يفكر في موضوع (ما)؛ مما يجعله لا يستمع لما يتلقاه بالكلية ولا يفهم المراد من الكلام.

وقد يحدث أن يسمع كلامًا وهو يريد سماعه لكنه ليس بصافي الذهن، فهو هنا يستمع للكلام ويعرف محتواه، ولكنه غير مستغرق

معه، كأن يفكر في موضوع آخر في الوقت ذاته، أو يستمع إلى كلام آخر، أو يناجي من حوله، كقوله تعالى: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧].

فإذا ما شعر المرء بأهمية ما يسمع أو يقرأ، وكان الكلام مما تشتد حاجته إليه: ... تجده يُصغي سمعه وينصت، فينتقل من مرحلة الاستماع إلى مرحلة الإنصات والإصغاء؛ حيث التركيز التام لما يتلقى لدرجة الاستغراق والتوحد مع ما يتلقاه.

ويقص علينا القرآن المجيد قصة الجن حين استمعوا القرآن للمرة الأولى، فقد أدركوا أهميته القصوى، وحاجتهم الماسة إليه فماذا قالوا؟! ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩].

فحري بنا أن نفعل مثل ما فعلوا حتى ننتفع بالقرآن: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

ولكن في بعض الأوقات قد نبدأ القراءة فنجد أنفسنا وقد غلبها النعاس، وأصبحنا لا ندري ما نقول، فماذا نفعل إذا ما فشلنا في جمع الذهن مع القراءة بعد العديد من المحاولات؟

علينا عندئذٍ التوقف بنية العودة إليها في وقت آخر.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ**»(١).

وليكن مقياس استمرارنا في القراءة قول الحسن بن علي ﷺ: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ»(٢).

سادسًا: التجاوب مع القراءة

مما يعين على التركيز مع القراءة: التعامل مع الآيات على حقيقتها في كونها خطابًا مباشرًا من الله عز وجل للبشر؛ لي ولك ولغيرنا.

هذا الخطاب يتضمن أسئلة: علينا أن نُجيب عنها؛ كقوله تعالى: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦١]، فنقول: لا إله إلا الله.

ويتضمن مطالب مثل الاستغفار والتسبيح والسجود، فعلينا حينئذٍ تنفيذها؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المزمل: ٢٠]، فنستغفر.

وفيه أدعية: علينا أن نؤمِّن عليها؛ كما نفعل مع الدعاء الذي في نهاية سورة الفاتحة.

وفيه مواضع تظهر آثار أسماء الله وصفاته علينا التسبيح عندها، وهكذا.

قال حذيفة بن اليمان ﷺ: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح بالبقرة فقرأها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها،

(١) رواه مسلم (١/ ٥٤٣ برقم: ٧٨٧).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ١٣٣).

يقرأ مترسلًا، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بآية سؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوَّذ، ثم ركع[١].

سابعًا: أن نجعل المعنى هو المقصود

البعض منا عندما يشرع في تلاوة القرآن والتفكر في آياته، تجده يقف متمعنًا عند كل لفظ فيه مما يجعل التلاوة أمرًا شاقًّا عليه، وما يلبث إلا أن يملّ فيعود أدراجه إلى الطريقة القديمة في القراءة دون فهم ولا تفكر يقود إلى التدبر -بإذن الله.

فكيف لنا إذن أن نقرأ القرآن بتفكر يقود إلى تدبر وسلاسة في الوقت نفسه؟

الطريقة السهلة لتحقيق هذين الأمرين معًا هو أن نأخذ المعنى الإجمالي للآية، وعندما نجد بعض الألفاظ التي لا نعرف معناها، فعلينا أن نتعرف على المعنى من السياق، وهذا ما أرشدنا إليه رسول الله ﷺ حين قال: «**إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ**»[٢].

---

(١) رواه مسلم (برقم: ١٧٦٤)، والنسائي (برقم: ١٦٣٣)، وأبو داود (برقم: ٨٧١)، والترمذي (برقم: ٢٦٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٨/ ٤٦٦ برقم:٢٣٤٨٢).

وبهذه الطريقة تصبح قراءة القرآن بتفكر صحيح سهلة وميسرة للجميع.

وليس معنى هذا عدم النظر في كتب التفسير ومعاني الكلمات[١]، ولكن لنجعلها في وقت آخر غير وقت القراءة، حتى نسمح لآيات القرآن أن تنساب داخلنا وتؤثر فينا.

ومما لا شك فيه أن للتفسير دورًا كبيرًا في فهم المراد من الآيات، وله أيضًا دورٌ أساسيٌّ في معرفة الأحكام الشرعية، والتي لا ينبغي علينا أن نستنبطها بمفردنا من القرآن، فتاريخ الأمة الإسلامية يشهد بانحراف الكثير ممَّن استنبط بمفرده الأحكام الشرعية من القرآن دون أن يكون مؤهّلًا لذلك، مثل الخوارج وغيرهم.

ومع أهمية دور التفسير إلا أنه ينبغي أن يكون له وقته الخاص به، وغير المرتبط بوقت القراءة، فنحن لا نريد أن نخرج من لقائنا بالقرآن بزيادة الفهم فقط، ولكن نريد القلبَ الحيَّ كذلك، وهذا يحتاج إلى اللقاء المباشر مع القرآن والسماح بقوة تأثيره أن تنساب داخلنا وتتصاعد من خلال الاستمرار في القراءة، والاسترسال مع الآيات والتجاوب معها.

---

(١) يمكننا أن نقرأ من مصحف به هامش بمعاني الكلمات فأنظر سريعًا إلى الكلمة التي لم أفهمها دون قطع التلاوة.

ثامنًا: ترديد الآية التي تؤثر في القلب

وهذه من أهم الوسائل المعينة على سرعة الانتفاع بالقرآن، فالوسائل السابقة مع أهميتها القصوى، إلا أنها في النهاية تخاطب العقل الذي يعدُّ محلًّا للعلم والمعرفة، أما الإيمان فمحله القلب، والقلب هو مجموع العواطف والمشاعر داخل الإنسان، وعلى قدر الإيمان فيه تكون الأعمال الصالحة التي تقوم بها الجوارح.

معنى ذلك أن الإيمان عاطفةٌ ومشاعر، وأن لحظات التجاوب والانفعال التي نشعر بها في دعائنا أو صلاتنا أو قراءتنا القرآن تؤدي إلى زيادة الإيمان في قلوبنا.

القرآن وزيادة الإيمان

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

فالقرآن من أهم وسائل زيادة الإيمان، وذلك من خلال مواعظه البليغة التي تستثير المشاعر وتؤججها، فيحدث بذلك التجاوب بين الفكر والعاطفة.

نعم.. قد تكون لحظات التجاوب والانفعال قليلةً في البداية، ولكن بالاستمرار على قراءة القرآن من خلال استصحاب الوسائل السابقة ستأتي - بعون الله- تلك اللحظات.

فماذا نفعل وقت حدوثها؟!

علينا أن نستثمر الفرصة التي جاءتنا، ونعمل على دخول أكبر قدرٍ من نور الإيمان إلى القلب في هذه اللحظات، وذلك من خلال ترديد الآية التي أثَّرت فينا، علينا ألا نملَّ من ذلك إذا وُجِد التجاوب، وهذا ما كان يفعله الصحابة والسلف رضوان الله عليهم.

عن عباد بن حمزة قال: دخلت على أسماء ﵂ وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٧]، فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو، فطال ذلك فذهبت إلى السوق، فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو[1].

وبترديد الآية التي تؤثر في القلب تتولد في داخل العبد طاقة، عليه أن يحسن تصريفها بالبكاء والدعاء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

فإذا ما انقطع التجاوب أكملنا تلاوتنا بنفس الطريقة منتظرين تجاوبًا آخر مع آيات جديدة، وبمرور الوقت ستزداد مساحة التأثر والتفاعل في لقائنا اليومي بالقرآن، لتزداد تبعًا لذلك مساحة النور

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥ برقم:٦٠٣٧)، ونحوه عند القاسم أبي عبيد ومحمد بن نصر.

والإيمان في القلب وتتبدَّد ظلماتُ الهوى، وشيئًا فشيئًا تسري روحُ القرآن فيه ليصبح قلبًا حيًّا رقيقًا يقظًا، يدفع صاحبه دومًا لفعل كل ما يُرضي مولاه وترك ما يبغضه، وبهذا يقوم القرآن بأهم دور له، ألا وهو قيادة الحياة إلى الله عز وجل.

• • •

وبعد

فهذه ثماني وسائل لا نجد فيها ما يصعب علينا الأخذ به، ولا يبقى بعد ذلك إلا الرغبة الصادقة في التغيير، هذه الرغبة التي نحسب أنها متوفرةٌ لدى الجميع -بفضل الله عز وجل- علينا أن نُحسن التعبير عنها بدعاء الله عز وجل وسؤاله تيسير طريق العودة إلى القرآن والانتفاع به قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

ولنضع نُصب أعيننا هدفًا محددًا نسعى للوصول إليه، ألا وهو القلب الحي والذى أخبر عن أمارته رسول الله ﷺ بقوله: «**الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ**»[1] وعلى قدر الهمة يكون العزم والانطلاق ... جاء في الأثر: «لو تعلقت همة أحدكم في الثريا لبلغها»

وأخيرًا: فيا أخي الحبيب ..

إن كنت تريد السعادة لك ولأهلك فعليك بالعودة إلى القرآن، وإن كنت تريد العزة والنصر لأمتك فتمسك بالقرآن ففيه كل ما

---

(١) الحديث رواه البيهقي في القضاء والقدر (برقم:٣٨٩) والزهد (برقم:٩٧٤). وله رواية عند ابن أبي شيبة والحاكم بلفظ قريب لكنه تلا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾.

تحتاجه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

ولا تنس وأنت تعيش في أجواء القرآن، وتغترف من معينه، وتتذوق من خلاله حلاوة الإيمان أن تدعو لي ولإخوانك المسلمين في كل مكان بالمغفرة والرحمة وحسن الخاتمة.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

• • •

الفهرس

الموضوع	الصفحة
كيف ننتفع بالقرآن؟	٥
المعنى هو المقصود	٦
لا بديل عن التفكر المثمر	٨
التفكر وسيلة وليس غاية	٩
المعجزة الكبرى	١٠
كيفية التغيير	١٠
من آثار المعجزة	١٢
القرآن والجن	١٢
نموذج للتغيير القرآني	١٣
لماذا غيَّر القرآن الصحابة؟	١٤
بركة القرآن	١٥
حالنا مع القرآن	١٧
من آثار هجر القرآن	١٨
ضرورة العودة إلى القرآن	١٩
كيف ننتفع بالقرآن؟!	٢٠
أولًا: الدخول إلى القرآن من بابه الصحيح	٢١

ثانيًا: الانشغال بالقرآن ٢٣
ثالثًا: التهيئة الذهنية والقلبية ٢٣
رابعاً: القراءة المتأنية ٢٤
خامسًا: التركيز أثناء القراءة والاجتهاد في الإنصات ٢٥
سادسًا: التجاوب مع القراءة ٢٧
سابعًا: أن نجعل المعنى هو المقصود ٢٨
ثامنًا: ترديد الآية التي تؤثر في القلب ٣٠
القرآن وزيادة الإيمان ٣٠
فماذا نفعل وقت حدوثها؟! ٣١
وبعد ٣٣
الفهرس ٣٥

• • •